قيمـــة العـــدل

العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ، ونصبه للحق ، فـلا تخالفه في ميزانه ، ولا تنازعه في سلطانه ، وقد قالوا : إن الله (عز وجل) ينصـر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ، ولا ينصـر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة ، وأن المُلْكَ قد يـدوم مع العـدل والكفـر ، ولا يـدوم مع الإسـلام والظلـم .

والعدل اسم من أسماء الله الحسنى ، فهو الحكم العدل ، وقد حرم ربنا (عز وجل) الظلم على نفسه فقال في الحديث القدسي : " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا"(صحيح مسلم).

وأرسل سبحانه وتعالى رسله جميعًا بالحق والعدل ، حيث يقول سبحانه:"لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ " (الحديد :٢٥) ، ويقول سبحانه مخاطبًا نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ " (الشورى: ١٥).

وجعل سبحانه وتعالى العدل من الأمور الراسخة التي أجمعت عليها الشرائع السماوية ، حيث يقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) في الوصايا العشر التي وردت في أواخر سورة الأنعام : إنها من الأمور المحكمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع السماوية ، فلم تنسخ في أي ملة من الملل أو شريعة من الشرائع ، وفيها قوله تعالى: " وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى " (الأنعام: ١٥٢) ، فقد أمرنا سبحانه وتعالى بالعدل في الأقوال ، وفي الأفعال ، بالقسط بين الناس جميعًا ، في الرضا والغضب ، في القريب والبعيد ، في الصديق والعدو ، حيث يقول الحق سبحانه : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ

أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " (النساء: ١٣٥) ، ويقول سبحانه : "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (المائدة: ٨).

ولأهمية العدل كان الإمام العادل في مقدمة السبعة الذين يظلهم الله (عز وجل) في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(متفق عليه).

على أن العدل الذي ننشده هو العدل على كل المستويات ، على مستوى الفرد ، وعلى مستوى المجتمع بكل أركانه ومؤسساته ، فالإنسان مطالب بالعدل بين أبنائه وفي أسرته وسائر جوانب حياته ، كما أن على كل مسئول على أي مستوى كان أن يعدل فيما ولاه الله إياه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللهَ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ "(مسند أحمد).

على أن تحقيق العدل الإداري بين المرءوسين وبين المتعاملين يعمق الولاء والانتماء الوطني ، أما ظلم الناس وتقديم الولاء على الكفاءة فيولد الاحتقان المجتمعي ويضعف الولاء الوطني ، ويؤدي إلى الشقاق المجتمعي.

وعاقبة الظلم هي الهلاك والدمار في الدنيا ، والسخط وسوء العاقبة يوم القيامة ، حيث يقول الحق سبحانه في شأن الظالمين :" فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ" (النمل : ٥٢)، ويقول سبحانه :"فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ " (القصص: ٥٨)، ويقول تعالى : "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا

وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ " (يونس : ١٣).

أما في شأن الظالمين يوم القيامة ، فيقول سبحانه : " وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا " (الفرقان : ٢٧، ٢٨) ، ويقول سبحانه : " مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ " (غافر: ١٨) ، ويقول سبحانه : " يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ " (غافر : ٥٢) ، ويقول سبحانه :" إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا " (الكهف : ٢٩) ، وإذا كان الماء المغلي يشوه البطون فإن ماء جهنم من نظر إليه على بعد فإنه كما جاء في الآية الكريمة " يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ " ، جزاء وفاقا.

* * *